سلسلة أمهات المؤمنين

سَوْدة بنت زَمْعَة

رضي الله عنها

بقلم

سمية عبدالحليم

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

سودة بنت زمعة.- الرياض.

٢٣ ص، ١٧X ٢٤ سم - (سلسلة أمهات المؤمنين؛ ٢)

ردمك: ٢ - ٧٥٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- سودة بنت زمعة بن قيس، ت ٥٤هـ ٢- زوجات النبي

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٧، ٢٣٩ ٢١/٢٨١٠

ردمك: ٢ - ٧٥٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع ٢١/٢٨١٠

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

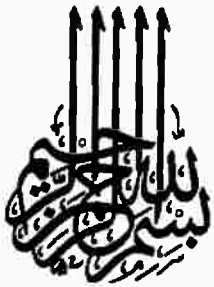
بسم الله الرحمن الرحيم

"والله ما بي على الأزواج من حرص ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجًا للرسول "

أم المؤمنين سوْدة بنت زَمعة

"ما من امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة (تسرع منها الفيئة)" رواه مسلم

أم المؤمنين عائشة

العامِرِيَّة

ها نحن – أخي القارئ – نقلِّب في صفحات السيرة النبوية العطرة ونتدارس حياة وسير أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن– ونصل إلى ذكر أم المؤمنين الثانية..

إنها من أسرة مؤمنة هاجرت جميعُها في سبيل الله..

وكانت أرملة مسلمٍ كان أحد السابقين إلى الإسلام قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ..

إنها السيدة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ العامرية القرشية أم المؤمنين، ويقال كنيتها: أم الأسود، وأمها الشَّمُوس بنت قيس بن زيد بن عمرو من بني النجار.

* * *

كانت سودة – رضي الله عنها– متزوجة من ابن عمها، السكران بن عمرو بن عبدشمس، الذي أسلم وحسن إسلامه..

وهاجر مع المهاجرين إلى الحبشة..

وهاجرت معه سودة، وكان يصحبها أخوها مالك بن زمعة، واثنان من إخوة زوجها السكران وهما: سليط وحاطب، وابن أخيهم عبدالله بن سهيل

ابن عمرو وأخته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وعمرة بنت الوقدان بن عبدشمس.

وهكذا خرجت الأسرُة العامريةُ المؤمنةُ في سبيل الله، هاجروا فراراً بدينهم..

ولم يبق من هذه الأسرة غير سهيل بن عمرو .. الذي بقي على شركه إلى أن أسلم بعد الفتح.. وكثيراً ما كان السكران يدعوه إلى دين الله.. وكان سهيلٌ يأبى عليه ذلك، وذات يوم:

دخل السكران بن عمرو بن عبدشمس على أخيه سهيل، وقد اصطحب معه زوج ابنة سهيل أباحذيفة بن عتبة، وقد بدا عليهما الإجهاد والتعب وبلغ منهما الأذى منتهاه.. فبادرهما سهيل بقوله:

– ما بكُما برب الكعبة؟

– قالا: لا عليك يا أخي.. إنه أذى السفهاء، وقد اعتدنا عليه واستعذبنا العذاب في سبيل الله.

قال سهيل: ألم يأنِ لك أن تثوب إلى رشدك يا سكران؟

قال سكران: بل ألم يأنِ لك أن تعود إلى بارئك أنت يا سهيل؟!

قال سهيل: ليس لك بي شأن يا ابن أبويّ، واخرج الآن من عندي وخذ

معك هذا الذي أعطيته ابنتي، فجعلها تسفه آلهتنا حين اتبعت محمداً وأفسدها علينا.

قال أبوحذيفة: هداك الله يا ابن عمرو.. أأنا أفسدت ابنتك؟! لقد شرح الله صدرينا للإيمان بالله وحده وهو الحق؛ فإلى متى تظل على وثنيتك وضلالك؟ فقال سُهيل غاضباً:

- اخْرُجا واغْرُبا عن وجهي.. ثكلتكما أمكما!!

فانتفض السكران قائماً والدم يقطر من فمه وأنفه؛ من جراء ضرب قريش له، وقال لأبي حذيفة:

- هلم بنا يا أخي، فقد أغلق الله قلب هذا الرجل عن الحق..

قال أبوحذيفة: عسى الله أن يُهديه كما هدانا..

وكانت سودة قلقة على زوجها قلقًا شديداً؛ فهي تعرف أنه لا يخاف في الله لومة لائم، وأن له لسانًا سليطًا على أعداء الله، فالتهب قلبها خوفًا عليه لطول غيبته، وبينما عقلها في هواجسه إذ طُرق الباب، فأسرعت وفتحت.. فلما رأت وجه زوجها يقطر دمًا شهقت وقالت:

- قتلوك يا ابن العم.. أهلكت نفسك وأهلكتني معك ورب البيت!!

وقال لها: لا تخافي ولا تفزعي يا سودة.. إنما هي قطرات في سبيل

الله، وقد أذن الله لنا بالفرج؛ فقد أمرنا الرسول ﷺ.. بالخروج إلى الحبشة وقال لنا:

- لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه.

قالت سودة: أو تقول صدقًا يا ابن عمرو؟ إنه فرج والله من عند الله..

- ولكن يعزّ على نفسي يا ابنة العم أن أترك مكة.

- لا عليك يا زوجي.. إنه الخروج لعودة إن شاء الله.

وكما أراد الله، حيث أوحى إلى رسوله أن يأذن للمؤمنين المضطهدين بالخروج مهاجرين إلى الحبشة، هاربين من بطش قريش، فارّين بدينهم إلى أرض الله الواسعة.

وقد وجد المهاجرون هناك ما خفَّف عنهم العناء، فآواهم النجاشي، وأحسن استقبالهم.

* * *

فـــراق

وأمِنوا فترة في الحبشة، وسعدوا بعبادة الله في أمن من بطش أعدائه، لكنَّ قلوبهم كانت موجَعة ببعدهم عن رسول الله ﷺ، وفي ذات ليلة بينما سَودَة وزوجها نائمان إذ رأت منامًا أيقظها وهي تتعجب مما رأت..

رأت في المنام النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ عنقها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: لئن صدقتْ رؤياك لأموتن وليتزوجك محمد، ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمراً انقض عليها وهي مضطجعة. فأخبرت زوجها.

فقال: لئن صدقت رؤياك لم ألبث يسيراً حتى أموت، وتتزوجين من بعدي.

وصدق حدسه، فما هي إلا أيام حتى أصابه المرض واشتكى وتوجع وجعًا شديداً، فقال لزوجته:

- فلنعد إلى البلد الحرام يا سودة، فإن القلب ليتحرق شوقًا إليها، وإلى نظرة إلى النبي رسول الله ﷺ.

واستجابت سودة لزوجها حيث عزمت على العودة معه، وانطلقا في بضعة نفر إلى مكة، وما كاد الركب أن يلقي رحاله حتى فاضت روح السكران، وأغمض جفنيه إلى الأبد، وبكته سودة بكاءً شديداً إلا أنها

استسلمت لقضاء الله واسترجعت وصبرت، ومكثت في دار أبيها زمعة ابن قيس.

وشاء الله أن يودع أبوالقاسم ﷺ خديجة زوجه الوفية الحنون إلى مثواها الأخير، فلما أرادت خولة بنت حكيم أن تسلِّي عنه أشارت عليه بأن يتزوج..

فقالت: يا رسول الله.. ألا تتزوج؟

قال: **من بعد خديجة؟!**

قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيِّبًا.

قال: **فمن الثيّب؟**

– سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك، ومات زوجها السكران عنها.

– **اذكريني عندها.**

فجاءت خولة إلى سودة .. فرحبت بها.

قالت خولة: أبشري يا أختي.. فقد عوضك الله خيراً من السكران بن عمرو..

قالت سودة: ومن أفضل منه يا خولة.. رحمك الله؟!

قالت: رسول الله.. بعثني إليكِ خاطبًا يا سودة.

فألجمت الدهشة والمفاجأة لسان سودة.

– اصدقيني القول يا أم شريك، هل طلب رسول الله ﷺ أن يتزوجني؟

– بلى يا سودة .. أفأذكر الأمر على أبيك؟

– افعلي.

فنادى والدها زمعة من الداخل:

– من أتى؟

قالت: أم شريك، خولة بنت حكيم..

قال: مرحبًا بك.. يا خولة..

قالت: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قال: ماذا يا أم شريك؟..

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب له سودة.

قال وقد بدا عليه أثر المفاجأة:

– وهل أحبَّتْ ذلك يا خولة؟

قالت: سلها .. تجبك.

وما خرجت خولة إلا بموافقة سودة ووالدها على زواجها من رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد فرحا بذلك، ورحّبا به..

وقدم عبدالله بن زمعة فوجد أخته قد تزوجها رسول الله ﷺ فحثا التراب على رأسه - كعادة أهل الجاهلية إذا أصابهم مكروه - فلما أسلم قال: إني لسفيه يوم أحثو التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ أختي.

* * *

في حزب عائشة

وجاء رسول الله ﷺ إلى زمعة والد سودة وخطبها، وكان قبل ذلك قد خطب عائشة بنت الصديق وهي صغيرة بنت ست سنين..

فكان يحتاج إلى زوجة قادرة على رعاية داره وشؤون بناته، وخاصة فاطمة التي فقدت حنان الأم وتحتاج إلى يد حانية حتى تؤهلها لزواج لابد أنه آت.

وسودة تعلم يقينًا أنه ما أحبها كخديجة، ولن يحبها كعائشة، فكفاها فخرًا وتيهًا على العالمين أنها زوجة نبي الله ﷺ..

وكانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – تحفظ لسودة وقوفها ومراعاتها لها وعطفها عليها منذ أن تزوجت برسول الله ﷺ.

وكانت سودة تحرص على إرضاء عائشة إرضاء للنبي – عليه الصلاة والسلام – الذي كان يحب عائشة كثيرًا، حتى لقد دفعها ذلك إلى الاستجابة لعائشة في قصة رائحة المغافير التي احتالت فيها عائشة ضد زينب بنت جحش رضي الله عنهن جميعًا، لقد استجابت سودة لعائشة، وقالت لرسول الله ﷺ حين جاءها: إني أجد فيك رائحة المغافير، وليس الأمر كذلك وإنما كان الهدف إبعاد الرسول ﷺ عن عسل زينب بنت جحش بعد أن طال مكثه عندها، والقصة بكاملها موجودة في كتب التفسير في تفسير سورة التحريم، وفي استجابة سودة دليل على ميلها لعائشة وحرصها على إرضائها.

بين سودة وعائشة

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

زارتنا سودة يوماً، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها، إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها، فعملت له حريرة[1] - أو قال خزيرة - فقلت: كلي، فأبت، فقلت: لتأكلين أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهها، فضحك رسول الله ﷺ، فرفع رسول الله رجله من حجرها لتستقيد مني، فوضع بيده لها من الحريرة **وقال لها: لطخي وجهها. فلطخت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك، فمر عمر فقال: يا عبدالله، يا عبدالله، فظن أنه سيدخل فقال: قوما فاغسلا وجوهكما**، قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ.

* * *

(١) الحريرة: هي الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء.

الإذن بالخروج والحجاب

كانت العرب تأنف من وضع الحمَّامات ودورات المياه داخل البيوت؛ لما يترتب على ذلك من أمراض وحشرات وروائح كريهة، خاصة أنه لم يكن الصرف الصحي معروفاً كما هو في أيامنا هذه.

فكان النساء يخرجن إلى صعيد فسيح بالليل يسترهن الظلام ليقضين حاجتهن.

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حريصاً وغيوراً على زوجات النبي ﷺ أن يتعرض لهن أحد من المنافقين، وكان يشير على النبي ﷺ بأن يحجب نساءه، ولم يكن لنبي الله أن يفعل ذلك حتى يأتي الأمر بذلك من السماء.

وذات ليلة خرجت سودة إلى المناصع – وهو صعيد أفيح من البقيع – وذلك عشاء، وكانت امرأةً طويلة، فرآها عمر فناداها: يا سودة، قد عرفناك، فانظري كيف تخرجين – وذلك حرصاً كما أسلفنا من عمر على نزول الحجاب – فانكفأت راجعة، وكان رسول الله ﷺ يتعشى في حجرة عائشة فاستأذنت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، إن عمر قال لي كذا وكذا.

فما لبث إلا قليلاً حتى نزل الوحي على النبي – عليه السلام – فأذن

لهن بالخروج، ثم نزل الحجاب بعد ذلك[1].

وهذا درس للنساء الخراجات الولاجات المتجولات بالأسواق أن يتقين الله ولا يخرجن من بيوتهن إلا لحاجة أو ضرورة، وإذا خرجن فلا يتبرجن بزينة، فإذا انقضت حاجتهن أسرعن إلى بيوتهن.

* * *

(١) متفق عليه.

سودة مع النبي ﷺ

ولما كبرت سودة وأسنّت أهدت ليلتها لعائشة، وذلك لأنها تعلم مدى حب النبي ﷺ لها ولأنها كانت تعلم أن النبي ﷺ حريص على أن يكون عادلاً في قسمته بينهن فكان يقول:

- «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» **يعني الحب والميل القلبي.**

ولما أسنّت سودة عند رسول الله ﷺ همّ رسول الله ﷺ بطلاقها فقالت:

- يا رسول الله، رضيت بقسمي فيك، وأهديت يومي لعائشة .. ثم استطردت قائلة:

- أمسكني، ووالله ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أريد أن أحشر في أزواجك.

- وكفاها أن الله حقّق لها رؤياها فكان القمر الذي رأته هو رسول الله ﷺ.

وكانت - رضي الله عنها - رضيّة النفس، طيبة القلب، تعيش على سجيتها، ففي يوم بدر لما أُتي بالأسرى ورأت ابن عمها سهيل بن عمرو وقد قيدت يداه، قالت في لهفة:

– أي أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا مُتُّم كراماً؟

فغضب منها رسول الله ﷺ وقال:

– يا سودة، أعلى الله ورسوله تُحرضين؟

فاعتذرت له قائلة:

– يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت!

فعفا عنها لما يعلم من طيبتها وحسن نيتها.

وكان يحب منها مرحها وخفة رُوحها، قالت له ذات صباح:

– صليت خلفك الليلة يا رسول الله، فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم.. وكان بها سمنة..

فضحك من قولها حتى بدت نواجذه.

وذات يوم ماتت شاة لسودة فقالت: يا رسول الله،

– ماتت فلانة (يعني الشاة)

فقال ﷺ:

– فلولا أخذتم مسكها[1]

---

(١) مسك الشاة: جلدها.

فقالت سودة متعجبة:

- نأخذ مسك شاة قد ماتت؟

فقال لها رسول الله:

- إنما قال الله عزوجل: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ (١)

فإنكم لا تطعمونه، إنكم تدبغونه فتنتفعون به..

فقامت سودة فسلخت مسك الشاة فدبغته وصنعت منه قربة.. استعملتها حتى تخرَّقت(٢)..

وحجّت سودة مع النبي ﷺ في حجَّة الوداع ولم تحُجّ بعدها.. وكانت تقول إذا سألها أحد عن ذلك:

- لا أحجُّ بعدها أبدًا؛ **لقول رسول الله ﷺ: «هذه ثم الزَمْنَ الحصر»** (أي بعد حجة الوداع)

وعاشت سودة بعد وفاة النبي ﷺ مع باقي أمهات المؤمنين.. وكانت كثيرة التصدق والإنفاق في سبيل الله بما عندها، وبما يهدى إليها..

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٥.

(٢) راجع مسند الإمام أحمد حديث رقم ٢٨٧.

أرسل لها الفاروق غرارة [1] فيها دراهم، ففرقتها كلها على مساكين المدينة.

وقد عرفت عائشة – رضي الله عنها– حبَّ سودة وحرصها على إرضائها فحملت لها كلَّ الخير في قلبها وقالت عنها:

– ما من امرأة أحب إليَّ من أن أكون في مسلاخها [2] من سودة بنت زمعة.. لما كبرت قالت: يا رسول الله، قد جعلت يومي منك لعائشة..

وتوفيت سودة في آخر زمن عمر بن الخطاب..

رحم الله سودة بنت زمعة وبعثها مع رسول الله ﷺ كما تمنّت.

* * *

[١] إناءً يوضع فيه التمر.

(٢) أي تمنيت أن أكون في مثل هديها وطريقتها.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

العامريّة ٧

فراق ١١

في حزب عائشة ١٥

بين سودة وعائشة ١٦

الإذن بالخروج والحجاب ١٧

سودة مع النبي ١٩

المحتويات ٢٣